بسم الله الرحمن الرحيم

(الشيخ نسيب الرفاعي يضرب مثلاً)

عرفت الشيخ محمد نسيب الرفاعي رحمه الله منذ أن وصلت إلى عمان عاصمة الأردن خادماً للدعوة السلفية ودعاتها في بلاد الشام المباركة المقدسة، وكان هو أحد دعاة رئاسة البحوث والإفتاء في عهد الشيخ ابن باز رحمه الله (خير من جمع الله له العلم والعمل والخلق في هذا العصر). والشيخ نسيب الرفاعي لا تخطئه العين ولا الأذن؛ أعطاه الله بسطة في الجسم والعلم (مثل طالوت عليه السلام) وزاده بسطة في اللسان وفي الجنان، وزاده خيراً من ذلك كله: صحة المعتقد وصحة المنهاج، والرغبة الملحة في الدعوة إلى الله على بصيرة من الكتاب والسنة.

وكان قبل اختياره الإقامة في عمان في خدمة الدعوة السلفية رمزاً للتدين والدعوة على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم في حلب - عاصمة التصوف والابتداع في سوريا، وكان للمتصوفة خاصة والمبتدعة عامة صولة ودولة قبل حزب البعث لأن المتصوفة ينتمون إلى أهل السنة مثل حكام وعلماء سوريا والأغلبية منهم جميعاً بعيدون عن منهاج السنة، أما حزب البعث فاهتمامه عروبي (أمة عربية واحدة) ولا يذكر الدين في دستوره العلماني بخير ولا شر، ولذلك تنفس المنهاج السلفي لأول مرة منذ عصر ابن تيمية وتلاميذه، وكثر عدد المنتمين للسلفية أكثر منه في أي وقت مضى (بعد الأمويين) رغم تحريض البوطي:

١) كابد الشيخ نسيب الرفاعي لجاج الخرافيين والقبوريين والمبتدعة والصوفية وصبر على أذاهم مستجيباً لأمر الله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾، وقص أكثر من قصة لم يبق في ذاكرتي منها غير أنه صلى في مسجد كان عبد الفتاح أبو غدة (مرشد حزب الإخوان المسلمين في سوريا بعد ذلك) تجاوز الله عنه يلقي فيه درساً وهمه يفتري على الإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد الدين في القرن (١٢) أنه يقول: (عصاي هذه خير لي من النبي صلى الله عليه وسلم)، فسأله عن عنوان الكتاب الذي قال فيه ابن عبد الوهاب ذلك، فما كان من أبي غدة إلا أن أشار عليه المبتدعة بقوله: (صرت ذنباً للوهابية) ثم إن أبا غدة تجاوز الله عنه عمل بالمثل السوري: (غير الشكل من أجل الأكل) فتحول إلى دُنيا من سماهم الوهابية لأجل دنياهم بدليل أنه جعل من نفسه ظهارة لبطانة الكوثري كما يقول د. بكر أبو زيد رحمه الله

في كشفه زيف أبي غدة والكوثري معاً في كتابه: (براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة)، وشكره ابن باز رحمه الله في مقدمته بقوله: (فضحتم المجرم الآثم محمد زاهد الكوثري بنقل ما كتبه من السب والشتم والقذف لأهل العلم والإيمان واستطالته في أعراضهم، وأوضحتم أثاباكم الله تعلق تلميذه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة به وولاءه له ومشاركته له في الإثم والعار، كفى الله المسلمين شره وأمثاله).

٢) بعد أن صبر على أذى المبتدعة عدد سنين قدم إلى الرياض يطلب عوناً على بناء أول مسجد للسلفية في تاريخ دمشق فصحبه ابن باز إلى مجلس العلماء مع الملك سعود رحمهم الله جميعاً، ومما قصه علي أنه فوجئ بالشيخ محمد بن ابراهيم يفتتح المجلس بما لم يظن أن عالماً يتجرأ عليه: (ما تخاف الله يا سعود)؟ وكان الملك سعود رحمه الله من أعظم من عرفت من ولاة الأمر إكراماً للعلماء وخضوعاً لفقههم فرد بالثناء أن يرزق الله الجميع خشيته في الغيب والشهادة، وتبين أن ما أغضب الشيخ رحمه الله كلمة في جريدة البلاد افتتحها صحفيها الجاهل (باسم الله وباسم الملك)، فاعتذر الملك سعود رحمه الله بأنه لم يصل من رحلته للعلاج إلا الليلة البارحة ولم يقرأ الجريدة، وردّ الشيخ بأن ملك البلاد راعٍ ومسئول عن رعيته، يقول الشيخ نسيب: فرفعت يدي طالباً الإذن بالكلام فأذن لي، فقلت: جميل أن ينصح العلماء الملك، وأجمل منه أن يقبل الملك نصيحتهم بمثل هذا الخلق الكريم فانطلق الملك سعود يؤكد أن هذه الدولة بفضل الله قامت على التعاون والتشاور بين العلماء والأمراء، ولا خير في العلماء إذا لم يقدموا النصيحة، ولا خير في الأمراء إذا لم يقبلوها... في كلام طويل جميل.

وحصل الشيخ على الإعانة المطلوبة فصودرت في الحدود السورية، لمحاولته إدخالها بطريقة غير نظامية، ولو بنى المسجد لاستولى على المبتدعة، ومن الخير أن يصلي السلفي في مساجد الناس ليكون قدوة بعمله وقوله وخلقه الشرعي.

٣) وابتلي بعرق النسا، ولعله يصدق عليه الحديث: «إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه» و«أكثر الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» ولم يرده المرض والألم الشديد (كلما تحرك) عن الدعوة إلى الله على بصيرة في أي مكان يستطيع الوصول إليه حتى توفاه الله فوق (٨٥) سنة.

وكان يطوف مرة محمولاً على رءوس اثنين من الأفارقة الطوال في (شبرية) فعثر أحدهما وسقط الشيخ مع (شبريته) على أرض

المطاف، وفي سبيل الله (الدعوة على منابع النبوة والحج والعمرة تطوعاً) ما لقي عوضه الله الجنة وخلفه في أهله (وعليهم) بصلاحهم.

٤) ولما بلغ سن التقاعد وتوقف صرف راتبه الشهري، طلبت من الشيخ ابن باز الشفاعة لدى خادم الحرمين لصرف راتب مدى الحياة أسوة بصنعهما مع زميله في الدعوة وابن بلده الشيخ الألباني، فكان ابن باز والملك فهد رحمهما الله عند حسن الظن بهما فتم ذلك.

وكان الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود جزاه الله خيراً جزائر قد هيأ له الإقامة في السعودية، وخصص غرفة في قصره لسكنه كلما زار الرياض، وتحمل صرف راتبه فترة انقطاعه، زاده الله من فضله.

٥) وعندما أغمت عقول أكثر العرب بمن فيهم الشرطيون العلم الشرعي في عالمنا أثناء احتلال حزب البعث العراقي الكويت واستجار الدولة للاستعانة على طرده منها، وقف الشيخ نسيب رحمه الله من هذا الأمر الموقف الذي يليق بالمسلم (فضلاً عن السلفي) شرعاً وعقلاً، فأعلن بملء فمه في كل مكان تأييد السعودية وقرارها الحازم مكافحة غزو الشر والفساد البعثي العراقي (الديني والدنيوي) الذي ابتليت به العراق عشرات السنين في أسوأ حكم عرفته بعد هولاكو ويزيد الجرملة (من العلمانيين والشيوعيين والعروبيين والحزبيين الموصوفين زوراً بالإسلاميين) أن يمتد هذا الفساد الديني والدنيوي ليصل إلى أكثر البلاد بركة وقداسة وبراءة من أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة وما دونه ذلك من البدع والموبقات، وخدع الشيطان بدعاياتهم الباطلة أكثر السلفيين الذين أعطاهم الله من صناعة الحديث أكثر مما أعطاهم من الفقه فيه فأنساهم الشيطان ما صح من تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين واليهود المحاربين ودخوله في جوار المطعم بن عدي وقتاله هوازن مع خزاعة حلفائه يوم شركهم، ويوم أسلم كثير منهم عام الفتح وكانوا معه في جيش الفتح، ولكنهم مثل غيرهم لم يميزوا بين معنى الولاء وبين معنى التعامل والتعاون على الحق والخير والعدل وأكثرهم تعاونوا مع حزب البعث على الشر والظلم.

وكان الشيخ نسيب رحمه الله متميزاً على الجميع بعقله وبشرع الله له، لا أعرف في الأردن وسوريا من قارب خطوته أو ارتفع إلى قمته، وكان يخالف تيار الضلال العام بقوله: (لو لم تفعل السعودية ما فعلت لطرد شيطان البعث من الكويت ورُكِّبَ مؤيدوه لأُجرمت وضيقت إقامة الله إياها نصراً للإسلام وقدوة صالحة للمسلمين ١٤٢٧/٢/٢٨.